

ملخص محاضرة: وسائل الإعلام والاتصال في الجزائر في العهد العثماني (1516-1830)

(1830)

مسعود بوسعدية - علي -

تمهيد:

يُعدّ العهد العثماني في الجزائر (1516-1830م) مرحلة مفصلية في تاريخها السياسي والحضاري، حيث خضعت البلاد لسيادة الدولة العثمانية، مع احتفاظها بقدر معتبر من الاستقلال الإداري تحت حكم الدايات والباشاوات. وخلال هذه الفترة لم تكن وسائل الإعلام بالمفهوم الحديث موجودة، لكن المجتمع الجزائري عرف أشكالاً متعددة من وسائل الاتصال التقليدية التي أدت وظائف الإعلام والتوجيه والتثقيف ونقل الأخبار.

أهداف المحاضرة:

- إبراز طبيعة وسائل الاتصال في الجزائر العثمانية.
- تحليل وظائفها السياسية والدينية والاجتماعية.
- بيان خصائصها وحدودها.
- تقييم أثرها في تشكيل الوعي الجمعي.

وضعية انطلاق:

- نص الوضعية:

أثناء دراستك لمقياس تاريخ الإعلام، لاحظت أن الجزائر في العهد العثماني (1516-1830) لم تعرف صحفاً مطبوعة ولا إذاعات ولا مطابع منتظمة، بخلاف أوروبا التي عرفت الطباعة والصحف منذ القرن السابع عشر. لكن في المقابل، تشير الدراسات التاريخية إلى أن المجتمع الجزائري آنذاك كان متماسكاً، ومنظماً سياسياً ودينياً، وتصل إليه الأخبار والقرارات الرسمية بانتظام. - المطلوب: كيف يمكن تفسير وجود منظومة اتصال فعالة في الجزائر العثمانية رغم غياب وسائل الإعلام الحديثة؟

أولاً: الإطار المفاهيمي:

مفهوم الإعلام والاتصال في السياق التاريخي:

- الإعلام: نقل الأخبار والمعلومات إلى جمهور معين.
 - الاتصال: عملية تبادل المعاني بين مرسل ومستقبل عبر وسيلة.
- في العصر العثماني لم يكن هناك: صحف مطبوعة - إذاعات - مطابع منتظمة (إلا في أواخر العهد).

بل كانت وسائل الاتصال تعتمد على: المشافهة - الكتابة اليدوية - الخطاب الديني - المراسلات الرسمية

- ثانيًا: وسائل الاتصال الرسمية في الجزائر العثمانية:

1- المراسلات الإدارية والسياسية: كانت الإدارة العثمانية تعتمد على:

- الرسائل الرسمية بين داي الجزائر والسلطان في إسطنبول
 - المراسلات مع الولاة والبايات في قسنطينة وهران وتلمسان
 - المراسلات الدبلوماسية مع الدول الأوروبية
- كان مقر الحكم في الجزائر يُعد مركز القرار السياسي، وتصدر منه الأوامر إلى مختلف الأقاليم.

- خصائصها:

- مكتوبة باللغة العثمانية أو العربية

- تنقل عبر مبعوثين رسميين

- سرّية في الغالب

- تخدم النخبة الحاكمة

- وظائفها:

- إدارة شؤون الدولة

- تنظيم الجباية والجيش

- إعلان التحالفات أو الحروب

2- الإعلانات الرسمية في الفضاء العام:

كانت السلطة تعتمد على:

- المنادين في الأسواق

- تعليق الأوامر في الأماكن العامة

- إعلان القرارات في المساجد بعد صلاة الجمعة

وهي وسيلة اتصال عمومي ذات طابع شفهي.

3- المسجد كمؤسسة إعلامية مركزية:

- دور الخطبة: شكّلت خطبة الجمعة وسيلة إعلام جماهيري أساسية:

- إعلان البيعة للحاكم

- الدعاء للسلطان العثماني

- توجيه الناس سياسيًا ودينيًا

- نشر التعليمات العامة

كان المسجد بمثابة "منبر إعلامي" أسبوعي.

- **حلقات العلم:** انتشرت الزوايا والمدارس القرآنية، خصوصًا في:

- قسنطينة - تلمسان - وهران

وكان العلماء ينقلون الأخبار والتوجيهات ضمن دروسهم.

- وظائف الاتصال الديني:
- حفظ الهوية الإسلامية
- ترسيخ المذهب المالكي
- مواجهة التأثيرات الأجنبية

4- الزوايا والطرق الصوفية كشبكات اتصال اجتماعي:

- انتشرت الطرق الصوفية في مختلف المناطق، وكانت تمثل:
- شبكات اتصال بين القرى.
 - مراكز لتبادل الأخبار.
 - وسائط لنشر المواقف السياسية.
 - ومن أبرز الطرق في المغرب الأوسط:
 - الطريقة القادرية - الطريقة الرحمانية
 - أهم وظائفها:
 - تعبئة السكان في الأزمات.
 - نشر الفتاوى.
 - تنظيم التضامن الاجتماعي.
- وقد لعبت الزوايا لاحقاً دوراً مهماً في مقاومة الاحتلال الفرنسي بعد 1830.

5- الأسواق والفضاءات الشعبية:

- السوق كفضاء إعلامي: كان السوق:
 - مركز تداول الأخبار.
 - مكان انتشار الشائعات.
 - مجالاً للتفاعل الاجتماعي.
- كان التجار ينقلون الأخبار من: الموانئ - القوافل الصحراوية - الرحلات البحرية.

6- الحكواتي والرواية الشفوية:

- اعتمد المجتمع على: الشعر الشعبي - القصص البطولية - المرويات التاريخية.
- وهي وسائل اتصال ثقافي جماهيري.

7- الاتصال العسكري والبحري:

- نظراً لأهمية الأسطول البحري الجزائري، خاصة في البحر المتوسط، كان هناك:
 - مراسلات بحرية.
 - إشارات وأعلام للتواصل بين السفن.
 - تقارير عسكرية دورية.
- وكانت الجزائر تعد من أهم القواعد البحرية في المتوسط خلال القرنين 16 و 17.

ملحوظة حول غياب الطباعة وتأخر ظهور الصحافة:

- لم تعرف الجزائر الطباعة المنظمة في العهد العثماني كما في أوروبا.
- ويرجع ذلك إلى:
- طبيعة المجتمع التقليدي.
- ضعف البنية التقنية.
- عدم الحاجة إلى صحافة جماهيرية.
- محدودية التعليم النظامي.
- وقد ظهرت أول صحيفة في الجزائر بعد الاحتلال الفرنسي سنة 1830.

ثالثا: خصائص النظام الاتصالي في العهد العثماني:

- يمكن تلخيصه في:
- 1. الشفوية أكثر من الكتابية.
- 2. مركزية السلطة في الاتصال الرسمي.
- 3. هيمنة البعد الديني.
- 4. محدودية الانتشار الجغرافي.
- 5. غياب الإعلام الجماهيري الحديث.

رابعا: تقييم نقدي:

- الإيجابيات:

- الحفاظ على الهوية الإسلامية - تماسك المجتمع - فعالية في مجتمع قليل الأمية.

- **السلبيات:** بطء تداول الأخبار - انتشار الإشاعة - غياب الشفافية - انحصار الاتصال الرسمي في النخبة.

- خامسا: مقارنة سريعة بالعصر الأوروبي المعاصر:

بينما كانت الجزائر في ظل الحكم العثماني تعتمد على الاتصال التقليدي، كانت أوروبا قد دخلت مرحلة:

- الطباعة المنتظمة - الصحف الدورية - بداية الرأي العام.

وهذا الفارق ساهم لاحقاً في اختلال ميزان القوة الإعلامي والسياسي.

- خاتمة:

لم تعرف الجزائر في العهد العثماني إعلامًا بالمعنى الحديث، لكنها عرفت منظومة اتصال تقليدية متكاملة اعتمدت على:

- المسجد - الزوايا - السوق - المراسلات الرسمية - الاتصال الشفهي.
وقد أدت هذه المنظومة دورًا مهمًا في إدارة المجتمع والحفاظ على هويته، لكنها ظلت محدودة مقارنة بالتحويلات الاتصالية التي شهدتها العالم الغربي.

- أسئلة للنقاش:

1. هل يمكن اعتبار المسجد وسيلة إعلام جماهيرية في العهد العثماني؟
2. كيف أثر غياب الطباعة في تطور الوعي السياسي؟
3. هل ساهمت الطرق الصوفية في تشكيل رأي عام محلي؟
- 4- كيف يمكن تفسير وجود منظومة اتصال فعّالة في الجزائر العثمانية رغم غياب وسائل الإعلام الحديثة؟